دراسة نقدية لقانون "إقرار الذمة المالية عند هيرودوت"

د/ أميرة قاسم الحدينى

أستاذ مساعد كلية الآداب – جامعة الإسكندرية

ملخص:

تتناول هذه الورقة البحثية دراسة لقانون أقرب ما يكون في عصرنا الحديث بـ "إقرار الذمة المالية"؛ ذلك القانون الذي وردت الإشارة عنه عند الكاتب والمؤرخ هيرودوت، وقد تم إقراره في عهد الملك أحمس الثاني أحد ملوك الأسرة (٢٦)، والذي أطلق عليه هيرودوت اسم أماسيس، ويظهر من خلال إشارات هيرودوت عن هذا القانون أنه كان متأثرًا بدرجة كبيرة بشخصية الملك أماسيس، حتى أنه وصف فترة حكمه والتي استمرت حوالي (٤٤) عام بأنها كانت فترة من الرخاء والازدهار شهدتها مصر؛ وذلك نتيجة لما جاد به النيل على الأرض من طمي، وما جادت به الأرض على الناس من خير، وهذا يرجع إلى نظام الإدارة الدقيق والمحكم الذي كان يتسم به عهد هذا الملك.

وقد تناولت هذه الدراسة نص القانون بالتحليل، وما تضمنه من ضرورة أن يعلن كل مواطن مصري عن وسائل عيشه لحاكم منطقة سنويًا، وإن امتنع عن القيام بذلك فسوف يتعرض لعقوبة قد تصل إلى الإعدام.

وقد أشار هيرودوت بهذا القانون لدرجة أنه أشار إلى أن هذا القانون قد نال إعجاب المشرع الآثيني سولون، ذلك المشرع الذي كان يتخذ في تشريعاته أول طريق للديمقراطية. وتناول الدراسة التحليل للألفاظ والمصطلحات التي استخدمها هيرودوت، والبحث في مدى مصداقيته، والتى بدا فيها الفرق واضحًا عندما أشار إلى اقتباس سولون لمثل هذا القانون من مصر على الرغم من فرق الاختلاف الواضح بين نظام الحكم المركزي الذي كان سائدًا في مصر، وذلك الذي كان سائدًا وقت سولون وهو النظام الديمقراطي.

الكلمات الرئيسية:

أماسيس – سولون – الأسرة (٢٦) – مصر تحت حكم الملك أحمس الثاني – تشريعات سولون.

مقدمة:

كتب تاريخ مصر مجموعة من المؤرخين القدماء في كتبهم التاريخية، هؤلاء المؤرخون قدموا إلى مصر في عصر متأخر، ويجب ألا ننسى أن مصر في عصورها الأولى كانت مغلقة في وجه الأجانب الذين إن أتوا إلى مصر فهم يأتون فقط لمشاهدة معالم حضارتها، وتمدينها، وتقدم عمرانها؛ وكان أول مَنْ سهل للأجنبى دخول مصر هو الملك أبسماتيك الأول أول ملوك الأسرة السادسة والعشرين (حوالي عام ٦٦٠ ق.م)، والذي حاول استعادة أمجاد ملوك مصر السابقين في الشرق الأدنى القديم، حيث رأى ضرورة تكوين جيش قوى حتى يستطيع أن يحقق جولاته وانتصاراته معيدًا مجد الإمبراطورية المصرية في الشرق الأدنى القديم حيث توصل إلى فكرة ذكية وهى تكوين جيش من الجنود المرتزقة من بلاد البحر المتوسط، وكان عدد كبير منهم من الإغريق والكاريين سمح لهؤلاء الجند بالبقاء في مصر، وشجع اليونانيين على السفر إلى مصر(١)، فحضر إليها نفر كبير وأعجبوا بها وبحضارتها(٢).

لذلك نجد أن أول تاريخ كتب عن مصر كان مصدره هؤلاء التراجمة الذين كان من الصعب عليهم أن يخلصوا في مهنتهم؛ إذ أن الأجنبي الذي يتكبد مشاق رحلة طويلة ويحضر إلى مصر يود أن يرى ويسمع فقط ما يلذ للسائح وهو ما يبعد كل البعد عن الحقائق التاريخية.

---

(١) عبد المنعم أبو بكر، لمحات عن التاريخ المصري القديم، وكالة الصحافة العربية، ٢٠٢٢، ص ٢٩.

(٢) Rowlinson, G. Herdotus, The Histories, British Library, 1997, 152, p. 205.

هناك بعض المصادر التي أشارت إلى هذا الوجود العسكري اليوناني مثل هيرودوت– ديودور الصقلى؛ راجع:

Diodorus Siculus, Book I. 67, pp. 277- 279; Herodotus, Book II, 152, p. 464.

راجع أيضًا: سليم حسن، مصر القديمة، ج ١٢، عصر النهضة المصرية، لمحة عن تاريخ الأغريق، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ١٩.

وكان هيكاتيوس من مدينة ميليتوس أول من دون عن مصر، وذلك عقب زارته لها حوالي ٥٢٠ ق.م حيث دوَّن ما سمعه من تراجمة مصر في كتابه وكذلك ما شاهده فيها[١]. ثم تبعه هيرودوت (الذي جاء لمصر عام ٤٥٠ ق.م أو بعدها بقليل)[٢]، وقد يكمن السر وراء الاعتماد على هذين المصدرين في معرفة تاريخ مصر في هذه الفترة هو أنهما (هيكاتيوس وهيرودوت) يقدمان صورة واضحة لمصر في العصر الذي زار مصر فيه هؤلاء السياح أى العصر الأخير من تاريخها، وكان من بين أهم مَنْ كتبوا عن مصر هو مانيتون الذي كتب عن تاريخ مصر وعاش في عصر الملك بطلميوس الأول (٣٠٥- ٢٨٥ ق.م)، وقسم كتابه إلى ثلاثة أجزاء خصص فيه جزء للتاريخ وآخر للديانة وثالث للحياة الاجتماعية وملاحظاته الشخصية[٣].

وسوف أتناول في هذه الدراسة ما ورد عند أحد المؤرخين الذين كتبوا عن تاريخ مصر، وهو المؤرخ هيرودوت، وكان عمله التواريخ[٤] (Histories) يتضمن كل ما رآه في مصر، وفيه يطلعنا هيرودوت على قانون أقرب ما يكون إلى ما نعرفه الآن بإقرار الذمة المالية . وهو موضوع الدراسة . وهو ما تم إقراره في عهد الملك

(١) عبد المنعم أبو بكر، المرجع نفسه، ص ٢٩.

(٢) وقد أشارت روايات هيرودوت نفسها عن مصر أنه زار مصر على الأرجح بعد ٤٥٤ ق.م أو ربما قبل ذلك قليلاً، بعد أن قدم الأسطول الأثيني المساعدة للمصريين في ثورتهم ضد الحكم الفارسى فيما بين ٤٦٠، ٤٥٤ ق.م.

(٣) عبد المنعم أبوبكر، لمحات عن التاريخ المصري القديم، ص ٣٠.

(٤) يظهر من خلال كتابات هيرودوت في عمله التواريخ العلاقة المركبة والتي تمثل المزج بين الحقيقة والخيال وذلك من خلال عرض العديد من الحكايات والقصص التي يقوم بروايتها وقد يختلط فيها الخداع بالحقيقة، وقد أشار إلى ذلك العديد من الكتاب راجع:
Mark. C. Mash, Stereotypes as Faculty resemblance Humarous Deception and Ethnography in Herodotus, 157. (Arum Park, 2017, Resemblance and Reality in Greek Thought, Essays in: honor of Peter M. Smith, Routledge, London and New York).

أحمس الثاني أحد ملوك الأسرة (٢٦)، والذي أطلق عليه هيرودوت اسم أماسيس[١]، والذي امتدت فترة حكمه إلى ٤٤ سنة[٢]، حيث أشار له قائلاً: "وبعد أن أنزل (ابريز) عن عرش الملك بهذه الصورة حكم مكانه "أماسيس" الذي ينسب إلى اسم البلدة التي أتى منها هى "سيوف"[٣]، وعلى الرغم من أنه لم تكن تجرى في عروقه دماء ملكية[٤]، إلا أنه وصف بأنه كان دبلوماسيًا ناجحاً[٥]، فقد روى أنه تزوج من إحدى بنات الملك أبسماتيك الثاني حتى تتوافر لديه الشروط التي تجعله ملكًا شرعيًا للبلاد، وخاصة أنه لم يلق قبولاً في البداية من المصريين نظرًا لأنه لم يكن من أصول ملكية، وقد استمر حكمه من عام ٥٦٩ : ٥٢٥ ق.م[٦].

---

(١) سليم حسن، مصر القديمة، عصر النهضة المصرية ولمحة عن تاريخ الإغريق، ج ١٢، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٥٧، ص ٢٩٤؛ كما أطلق عليه مانيتون أيضًا اسم أماسيس. راجع:

Waddle. W.G., Manetho with an English Translation, London, 1940, pp. 169- 173.

(٢) Herodotus, Histories, III. 10.

(٣) سيوف هى إحدى مدن إقليم سايس (صا الحجر) ومكانها على الشاطئ الشرقي لفرع رشيد وتسمى اليوم (الصفة)، راجع محمد صقر خفاجة، هيردوت يتحدث عن مصر، ترجمة أحمد بدوى، ط ٢، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٨، ص ٣٠٤، (ملحوظة ٣).

(٤)سليم حسن، نفسه، ص (هـ)، غادة حسين، الملك أحمس الثانى، أماسيس، ٥٧٠– ٥٢٥ ق.م، مجلة المقتطف المصرى التاريخية، الإصدار الأول، س ١، ع٣، ص ٢٨. وعن أصول الملك أماسيس راجع أيضًا:

Aenekuhrt; The Ancient Near East. C. 3000- 330 B.C., VII, London, 1995, p. 28; Ray John; Amasis The Pharaoh as with no illusions, History Today, Mar. 1996, 463- 3; Petrief, A History of Egypt, vol. III: From the XIXth to XXXth, Dynasties, London, 1925, p. 350.

(٥) محمد عرموس، موجز تاريخ مصر، A. G. Printing، ٢٠٢١، ص ٨٢.

(٦) إسكندر عارف، ترجمة: د. عبد المنعم أبو بكر، تاريخ مصر من فجر التاريخ حتى إنشاء مدينة الإسكندرية، مطبعة أطلس، ٢٠٢١، ص ٢٨٧.

أولاً: حديث هيرودوت عن رخاء مصر في عهد الملك أماسيس:

كتب هيرودوت مادحًا هذا الملك كثيرًا ومعددًا لصفاته الحميدة، خاصة أنه أشار إلى أن فترة حكمة شهدت فيها مصر رخاءً لم تشهده من قبل في كافة المجالات(١)، حيث قال:

"ἐπ΄Ἀμάσίος δὲ βασιλέος λεγεται Αἰγυπτος μαλισταςη τότε εύδαιμονήσαι και τα ἀπὸ τοὺ ποταμού τή χώρη γινόμενα καί τα ἀπὸ τῆς χωὸρης τοὶσι ἀνθρωποισι"

"ويقال إن مصر كانت تحت حكم "أماسيس" على درجة عظيمة جدًا من الازدهار؛ وذلك نتيجة لما جاد به النيل على الأرض من طمى، وما جاءت به الأرض على الناس من خير".

وهنا تشير إلى ذلك أيضًا الأوراق البردية التي كتبت بالخط الديموطيقي من عهد هذا الملك والتي تدل بلا نزاع على أن عصره كان عصر رخاء(٢). وربما يرجع ذلك إلى نظام الإدارة الدقيق الذي كان يتسم به عهد الملك أماسيس والذي لم يكن ينازعه فيه أحد، فقد كان يسير بنظام المقاطعات وهو ما يعد طريقة نموذجية تتناسب وظروف المصريين(٣).

وليس هذا فحسب بل انعكست آثار هذا الاستقرار والرخاء على الإنشاءات المعمارية العديدة والآثار المتنوعة كمًا وكيفًا، وهو ما ظهر في عدد ضخم من

---

(١) Herodotus, Hist. 2, 177, 1.

راجع أيضًا:

Andreas Schurab and Alexander Schütze; Herodotean Soundeing, The Cambyses Logos, Narr francke Attempto Verlage, 2023, "Alexander Schütze; Cambyses The Egyptian? Remembering Cambysis and Amasis in Persian Period Egypt, p. 206";

غادة حسين، الملك أحمس الثاني، أماسيس (٥٧٠- ٥٢٥ ق.م)، مجلة المقطتف المصري التاريخية، الإصدار الأول، س ١، غ ١، ص ٣٠.

(٢) راجع: سليم حسن، مصر القديمة، (عصر النهصة المصرية، ولمحة في تاريخ الإغريق)، ص ٣٣٢.

(٣) Triger. B.G., Kemp. B. J.; Ancient Egypt, A. social History, Cambridge Univ. Press, 1983, p. 336.

الوثائق الإدارية[١]، كما شهدت أقاليم مصر ومدنها هذا التقدم المعمارى الملحوظ، وهو ما أشار إليه هيرودوت وأشاد به[٢]، وهو ما ظهر واضحًا في عدد من المدن قبل أبو صير ونقراطيس وغيرها من المدن الأخرى.

كانت فترة حكم الملك أماسيس والتي امتدت حوالي ٤٤ عام تمتعت فيها مصر بالرخاء والازدهار، ولم تسجل مصادر عهده ما يعكر هذا الصفو من اضطراب أو ثورات[٣].

وهنا بعد أن استعرضت ما ورد عن هيرودوت من حديث عن وضع مصر في فترة حكم الملك أماسيس وحديثه عن الرخاء الذي شهدته مصر أثناء فترة حكمه (علمًا بأن هيرودوت زار مصر حوالى عام ٤٥٠ ق.م أي بعد انتهاء فترة حكم الملك أماسيس)، فإننى يمكن أن أطرح تساؤلاً:

إلى أي مدى كانت مصداقية هيرودوت عند حديثه عن هذا الرخاء؟ أو بمعنى آخر: هل شهدت مصر في ذلك الوقت هذا الرخاء غير المسبوق؟!

وينقسم الرد على هذا التساؤل إلى شقين: الأول: يشمل الرد على إشارته عن الرخاء الذي عاشته مصر في عهد أماسيس كما أشار هيرودوت إلى ذلك، فعلى الرغم من أن مصر كان يعتمد سكانها على ما يجود به النيل على الأرض من طمى وما جادت به الأرض على الناس من خير، وكان عدد البلاد المعمورة في ذلك الوقت في مصر تصل إلى ألف مدينة آهلة بالسكان[٤]، إلا أن تلك الرواية لا تتفق مع ما ورد في التوراة[١] والتي ورد فيها ذكر مصر كالتالي:

---

(١) Lloyd, A.B., Herodotus, Book II, Commentary, 99- 182, Publishing, Leiden, 1988.

(٢) Herodotus, II, p. 163- 169- 171.

(٣) عادل عبد العزيز، أحمس الثاني، دراسة تاريخية أثرية (بحث مرجعى)، جامعة القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٣٦.

(٤) وهو ما تم تقديره من ديودور الصقلى عند حديثه عن البلاد المعمورة بالسكان والذي كان في ذلك الوقت يقدر بـ ١٨٠٠٠ ألف ثم ارتفع عددها أيام البطالمة فبلغ حوالي=

"وتكون أرض مصر مقفرة وخربة، فيعلمون أني أنا الرب.لأنه قال النهر لى وأنا عملته. لذلك هاأنذا عليك وعلى أنهارك واجعل أرض مصر خربًا خربة مقفرة من مجدل إلى أسوان إلى تخوم كوش.... إلخ".

ويبدو هنا من خلال ما ورد في العهد القديم (التوراة) أن هناك تعارض كبير بين ما ورد ذكره على لسان هيرودوت – وهو ما يجعل مصداقية هيرودوت على المحك – وبين ما هو مكتوب في الكتب المقدسة عن أحوال مصر آنذاك، ولكن ربما يرجع ذلك إلى أن هيرودوت عندما كتب عن مصر في تلك الفترة (عهد أماسيس لم يكن معاصرًا لها بل اعتمد على ما سمعه من روايات، والتي من الجائز أن تكون قد أغفلت أو ربما تعمدت إغفال هذا الجزء السيء من تاريخ مصر، وذكرت له (هيرودوت) فقط عما كانت تنعم به مصر من خير فيما بعد، وذلك بعد أن ربطتها ببلاد اليونان علاقات اقتصادية قوية ازدهرت فيها الأحوال ونعمت فيها مصر بفترة من الرخاء والاستقرار.

كان هذا عن الشق الأول، أما الشق الثاني في الرد على هذا السؤال المطروح، فإننى سوف أقدم فيه بعض من آراء المؤرخين الذين شككوا في روايات هيرودوت، سواء مؤرخين قدامى أو محدثين. ومن أمثلة المؤرخين القدماء المؤرخ ثوكيديدس، والذي اتهمه بالسرقة والانتحال والكذب، حيث إن هيرودوت في أثناء روايته عن مصر لم يخفي إعجابه الشديد بالمصريين، وأشاد بتفوقهم وعظمتهم، وأعاد إليهم الفضل في الكثير من ميادين العلوم والمعارف والتي أفادت الكثيرين ومنهم الإغريق[٢]، وربما كان ذلك ما أثار سخط المؤرخ بلوتارخوس عليه حتى أنه اتهمه بأنه صديق البرابرة[١].

=٣٠٠٠٠ ألف وكان مجمل عدد السكان في مصر حوالى (٧) مليون نسمة. راجع: محمد صقر خفاجة، هيرودوت، ص ٣٠٩، ملحوظة (٢).

(١) العهد القديم، سفر حزقيال، ٢٩، ٩، محمد صقر خفاجة، هيرودوت، ص ٣٠٩ ملحوظة (١).

(٢) راجع:

وهناك من المؤرخين المحدثين[٢] أيضًا من قام بالتشكيك في مصداقية كتابات هيرودوت، وذلك من خلال البحث في المراجع التى اعتمد عليها هيرودوت واستمد منها معلوماته؛ فقد كان في كثير من رواياته يستقي معلوماته من الكهنة الموثوق بهم والذين كانوا في ذلك الوقت أهل العلم والمعرفة[٣]؛ كما لجأ هيرودوت كذلك إلى مصدر آخر لمعلوماته فقد كان نظرًا لعدم إلمامه باللغة العربية، اعتمد على اليونانيين الذين كانوا يقيمون في مصر آنذاك بالإضافة إلى الإدلاء والتراجمة والذين كانوا يصطحبون الزائرون لمصر[٤].

ولم يكن هيرودوت يكتفي بكتابة ما يسمعه من أقوال وأحاديث بل كانت له في كثير من الأحيان آرائه الخاصة والتي ربما في بعض الأحيان قد تسببت في الابتعاد عن الحقيقة كما سمعها من مصادرها.

ومن المؤرخين المحدثين والذين أثاروا الشك في كتابات هيرودوت العالم البريطاني Sayce[٥]، والذي اتهم هيرودوت بعدم الأمانة في التأريخ، وذلك بسبب أن ما يقدمه عن تاريخ مصر هو في الحقيقة عبارة عن مجموعة من القصص الشعبي الذي ورد على لسان اليونانيين الذين يقيمون في مصر آنذاك.

Verginia. J. Hunter; Past and Process in Herodotus and Thucydides, Princeton University, 2017, pp. 66, 76.

(١) Thucydides, Historiae, I, II.

(٢) وقد كان من الكتاب الذين شككوا في هيرودوت: العالم الألماني Wiedemann؛ والعالم البريطاني Sayce؛ راجع: محمد صقر خفاجة، هيرودوت، ص ١١.

(٣) راجع:

Heided, William Arthur; Hecataeus & The Egypt Priestes in Herodot. Book II, Routledge, New York, Taylor & Francis, 2018, p. 53- 134; Verginia. Hunter; Past and Process in Herodotus and Thucydides, p. 309.

(٤) راجع: Herodotus, II, ch. 19, 28 وهو ما أشار فيه هيرودوت عن طوفان نهر النيل والذي يتضمن آراء خاصة عما سمعه من روايات.

(٥) Sayce, A.H.; The Ancient Empires of the East Herodotus I- III, with notes, Introduction, and Appendices, London, 1883, p. XII, XIII.

ثانيًا: "قانون الذمة المالية" المشار إليه عند هيرودوت:

استطرد هيرودوت بعد ذلك مباشرة وذكر القانون الذي أقره الملك أماسيس . وهو موضوع الدراسة . الذي ينص على أن يعلن كل مصر عن وسائل عيشه لحاكم منطقته سنويًا. وأن الامتناع عن القيام بذلك أو إثبات أن الشخص لديه مصدر رزق مشروع يعاقب عليه بالإعدام؛ واستطرد هيرودوت في حديثه بأن سولون الأثيني قد (اقتبس) أخذ هذا القانون من مصر وشرعه (للأثينيين) بين قومه. أتمنى أن يحصلوا عليه (يطبق عندهم) دائماً لأنه قانون مثالى"(١).

"νόμον τε Αίγυπτιοισι τον δε Ἁμασις ἐστὶ ὸ καταστησας, α ποδει κνύναι ἑτεος ἑκαστου τῷ νομαρχη πάντατινα Αίγυπτίων οὲθεν βιοῦται; μὴδὲ ποιεῦντα ταὐτα μηδέ ἀποφαί νοντα δικαίην ζόην ἰθύνεσθαι θανάτῳ. Σόλων δὲοὲ Ἀθηνατος λαβὼν ἓξ Αἰγύπτον τουὐτον τὸν νομον Ἀθηναίοἰσι ἑθετο : τῷ ἑκεἰνοι ἑ̓ς αἰεὶ χρεὸωνται ἑ̓όντι ἀμώμῳ νοὸμῳ".

"كان أماسيس هو واضع القانون الذي يفرض على كل مصري أن يُبيِّن سنويًا مورد عيشه لحاكم الولاية، ومَنْ لا يفعل ذلك، ولم يثبت أنه يعيش عيشة مشروعة، كان عقابه الموت.

ولقد نقل سولون الآثيني هذا القانون عن المصريين ووضعه للآثينيين، وهؤلاء يطبقونه إلى الآن إذ لم يوجه إليه أىُّ طعن".

وسوف أتوقف هنا لمناقشة هذا القانون وهو ما يعرف أو ما يمكن أن نسميه بلغة العصر الحديث بـ "إقرار الذمة المالية".

"τῷ νομαρχη πάντα τίνα Αιγυπτιων ὃ θεν βιοὺται "

والذي ينص على ضرورة تقديم كل مواطن مصري تقريرًا عن وسيلة عيشه ومصدر رزقه لحاكم منطقته(٢) التي يقيم فيها، وكان العقاب لمن يمتنع عن تقديم هذا

(١) Herodotus. 2. 177. 2.

(٢) كان عدد سكان المدن آنذاك في مصر يقدر بحوالى ٢٠٠٠٠ ألف مواطن.
راجع: Brian Muhs; The Ancient Egyptian Economy (3000- 30 B.C, Cambridge University Press, 2016, pp. 151, 184.

الإقرار هو الإعدام (الموت) (ἰθυνεσθαι θανάτω)؛ وهو ما يترتب عليه أن يقدم كل معلومة أيًا كانت كبيرة أو صغيرة عن دخله خوفًا من تعرضه لهذه العقوبة الشديدة، وهو ما يعتبر أقصى عقوبة يمكن أن توقع على شخص مخالف أو ارتكب جريمة وهو الأمر الذي يحتاج للوقوف عنده لمناقشته.

وهنا سؤال يطرح نفسه، هل من الممكن أن يكون عهد ملك مثل أماسيس كل ما فيه من رخاء واستقرار . على حد قول هيرودوت . يمكن أن يصل فيه التعامل مع المواطنين الذين يخالفون أو يمتنعون عن تقديم مثل هذه التقارير أو بمعنى آخر الذين يرفضون أن يمتثلوا لمثل هذا القانون بأن تصل عقوبتهم إلى هذه الدرجة من القسوة إلى عقوبة الإعدام؟!

ويبدو أن هذا القانون كان ساريًا على كل طبقات المجتمع في ذلك الوقت. فقد وردت الإشارة عند هيرودوت عن عدد من الفئات في المجتمع بالإضافة إلى الكهنة والمحاربين ورعاة البقر ورعاة الخنازير، والفرق العسكرية والمترجمين (المفسرين)، بالإضافة إلى البحارة، ومن المحتمل أنه كان يعنى جميع هؤلاء الذين يعتمدون على المياه في سبيل العيش (في عملهم) بمعنى أن كل مَنْ يعمل في حرفة تعتمد على المياه (ويقصد به مياه النيل)؛ إذن فلابد عليه من أن يقدم هذا التقرير السنوى عما حققه من مكاسب من وراء هذه المهنة(١).

كان ذلك عن المحور الثانى الذي أشرت فيه إلى القانون الذي ورد ذكره عند هيرودوت كما أقره الملك أماسيس، وسوف أنتقل إلى المحور الثالث الذي يدور حول:

(١) Trigger. B. G., Kemp. B. J.; Ancient Egypt, A social History, Cambridge University Press, 1983, p. 130.

ثالثًا: المصطلحات التى استخدمها هيرودوت في التعبير عن قانون أماسيس:

سوف أتناول في هذا المحور بعض المصطلحات التى استخدمها هيرودوت عند إشارته إلى القانون الذي شرعه أماسيس، والتي حاول من خلالها أن يكون دقيقًا في تعبيره أو تصويره إلى أي مدى التزام المصريين بتقديم كل ما يمثل بالنسبة لهم وسيلة عيش أو أي مصدر رزق يمكن أن يشكل دخلاً للمصريين.

وهنا نجد أن هيرودوت استخدم مصطلحين: الأول هو استخدام لفظ "δίκαιην" والذي يعني (يحيا أو الحياة) والثاني هو لفظ " ὃ θεν βιοῦται " والذي يعني (وسائل الرزق أو المعيشة) وهنا يتعين على الباحث في قراءة ذلك القانون أن يتوقف قليلاً عند بعض مفردات اللغة التي يستخدمها هيرودوت في روايته. حيث إن عبارة ὃ θεν βιοῦται يمكن ترجمتها "من أي مصدر أو مكان يعيش منه" أو "ما هي مصادر رزقه"، أو "ما هي مصادر دخله".

كل تلك الترجمات تدل في الواقع على استخدام الفعل "βιοῦται " الذي يعني العيش "بيولوجيا" (لأننا نعرف أن الاسم هو (ὁ βίος) يستخدم بمعنى الحياة، أو بمعنى العيش جاء متسقًا مع مفردات القانون نفسه الذي ينشد حصر كل ما يقيم به الإنسان أوده أو ما يسد به رمقه.

وهنا يتعين ملاحظة الفرق في اللغة اليونانية بين معنى العيش "بيولوجيا" والذي نستدل عليه من الأصل (Bio) ومعنى الحياة "إنسانيًا" والذي نستدل عليه من الفعل (ζάω)، والذي استخدمه أيضًا هيرودوت كاسم في الفقرة موضوع البحث في العبارة (ἀπο φαι νοντα δικαίην ζοὴν) .

لقد عاد هيرودوت واستخدم الاسم (ζοὴ) (ζώη) الذي يعنى الحياة وهذا الاسم معناه الأصلى "الكائن الحى" أو "الحيوان"[١] وليس الحيوان بمعنى البهائم وغيرها بل الحيوان بمعنى الحاصل على الحياة أو الحي، وكل ذى روح يتحرك

(١) ورد ذكر هذا الاسم في القرآن الكريم في قوله تعالى: "وإن الدار الآخرة لهي الحيوان". سورة العنكبوت، آية ٦٤.

ويتغذى ويتحسس ويعقل، لا يتغذى فقط كما تدل كلمة (βίος)، معنى ذلك أن هيرودوت كان موفقًا للغاية سواء عن قصد أو غير قصد في استخدام الفعل βιοῦται في العبارة (ὃ θεν βιοῦται) وأنه استخدم بطريقة عشوائية غير مدروسة ولا مدققة للاسم (ζῷη) في الجملة ذاتها.

رابعًا: اقتباس سولون المشروع الآثيني لقانون أماسيس وتطبيقه على الآثينيين:

سأتناول في هذا المحور اقتباس المشرع الآثيني سولون (٦٤٠- ٥٦٠ ق.م)، وكيف أنه تأثر بهذا القانون المصري وأعجب به لدرجة أنه قام باقتباسه وتطبيقه على الآثينيين نظرًا، لأنه كان – من وجهة نظره – قانونًا محكمًا بمعنى أنه كان قانونيًا لا يأتيه الباطل ومما يستدعي التوقف في هذه النقطة هو المشرع الأثيني سولون الذي كان من أشهر المشرعين في عصره، وكان يتخذ في تشريعاته أول طريق للديمقراطية التي كان يسعى لتحقيقها بين المواطنين؛ فقد كان هذا القانون بمثابة تشريعًا خاصًا بالضرائب في مصر، والذي أشار هيرودوت إلى أن سولون أخذ به عند وضع قانون الضرائب السنوية في أثينا.

وقد أشار هيرودوت في رسالة سولون كرويسوس الشهيرة[١] إلى الملك أماسيس بالاسم كشخصية من ضمن العديد من الأشخاص الذين زارهم سولون

"αὐτων δὴ ὧν τοὐτων καὶ τῆς θεωρίης ἐκ δημῆσας ὀΣόλων εἰνεκεν ἐς Αἴγυπτον ἀπίκετο παρὰ Ἄμασιν καὶ δὴ καὶ ἐς Σαρδις πάρα κροῖσον "

يمكن أن نستنتج من إشارة هيرودوت إلى أماسيس وسولون إلى وجود صلة تربط بين الملك أماسيس وسولون، فقد سبق وأشار هيرودوت لشخصية الملك أماسيس على أنها شخصية مركبة، وليست عادية، فعلى الرغم من أنه كان ملك

(١) Herodotus, I. 30-1-3.

مصري، إلا أنه كان يظهر بشكل يوناني "كرجل حكيم"[١]، لكن الحقيقة التاريخية لم تثبت أن قانونًا مثل ذلك كان معمولاً به في أثينا.... ولم يرد بحسب معرفتنا بالمصادر بتشريعات سولون أغلب الظن – وذلك في رأيي الشخصي – أن هذا تلفيق من جانب هيرودوت استند فيه إلى تلك العلاقة الوطيدة التى كانت تربط بين أماسيس وسولون.

ولم يكن هيرودوت فقط هو من أشار إلى حكمة الملك أماسيس، ولكن وردت إشارة كذلك عنه عند المؤرخ ديودور الصقلي، والذي أشار إلى أماسيس بأنه كان ذو أخلاق فاضلة، كما أنه ذكره ضمن أفضل ستة مشرعين للقانون في مصر[٢]؛ كما أنه أشار كذلك لزيارة سولون للملك أماسيس في مصر، وهو ما يعكس مكانة الملك القانونية ودوره في سن القوانين في مصر، وهو ما انعكس بدوره على البلاد[٣].

مما سبق نجد أننا نحتاج إلى أن نقف عند تشريعات سولون، لنرى ما إذا كان لمثل هذا القانون أي صدى . وفقًا لما قاله هيرودوت . وذلك بالبحث في تشريعات وقوانين سولون، والتى وردت الإشارة إليها في واحدة من محاورات أفلاطون وهي محاورته القوانين (νόμοι)؛ حيث اعتقد الآثينيون في القرن ٤ ق.م أن سولون ليس فقط هو المسؤول عن معظم تشريعاتهم بل كان هو المسئول أيضًا عن الديمقراطية التي يعيشونها[٤].

---

(١) راجع: =
Mark. C. Mash; Stereotype as Faculty resemblance Humorous= deception and ethnography in Herodotus, p. 162, article in (Arum Park, 2017, Resemblance and Reality in Greek Thought, Essays in honor of Peter M. Smith, Edited by Arum park, Routledge, London and New York).

(٢) Diodorus of Sicily, I, 94.

(٣) عادل السيد عبد العزيز محمد، أحمس الثاني، ص ٣٦.

(٤) Samuel Ortencio Flores; M. A., The Roles of Solon in Plato's Dialogues (Dissertation), The Ohios State University, 2013, p. 190, n. 298.

فقد رأى أفلاطون سولون على أنه كان يمثل رجل الدولة الديمقراطي[١]، وهو ما نستدل منه على عدم إمكانية وجود تشريع مثل ذلك الذي كان يوجد في مصر في عصر الملك أماسيس؛ والذي أشار هيرودوت إلى قتباس سولون لهذا التشريع وتطبيقه على الآثينيين. وقد رأى الكاتب (Dewald) أن أماسيس لم يكن مصدر إلهام لتشريعات سولون (٥٩٤ ق.م) لأن فترة حكمه كانت متأخرة كثيرًا على أن تكون صحيحة، فقد رأى الكاتب أن هيرودوت كان ضعيفًا في إشارته بأن هذا القانون المصري هو حاليًا قانون يوناني (أي انه يطبق في بلاد اليونان)، وأنه في الأصل من ابتكار أماسيس، فقد أشار إلى ضرورة استخدام اليونانيين لهذا القانون "لأن هذا القانون بلا لوم"[٢].

"τῲ εκεῖνοι ἐε αἰεί χρεωντα, εόντι ἀμωμω νὸμω

وهو ما يعود بنا مرة ثانية لمناقشة مصداقية هيرودوت؛ إذ يبدو مما سبق أن هيرودوت غاب عنه في إشارته لاقتباس سولون لمثل هذا التشريع من مصر تلك الفروق الواضحة بين نظام الحكم الذي كان سائدًا في مر، والذي كان يتمثل في نظام وحكومة مركزية؛ وذلك الذي كان في آثينا وقت سولون حيث النظام الديمقراطي وتلك التشعريات التي تؤسس لهذا النظام، فقد كان سولون يضع تشريعاته لإنقاذ العامة من سوء أحوالهم التي كانوا يعانون منها.

مما سبق يمكننا أن نفسر ما قام هيرودوت بالإشارة إليه، وذلك عندما ذكر أن سولون قد أخذ عن الملك أماسيس هذا القانون فمن الجائز أن سولون تأثر بالعلاقة القوية التي كانت تربط بين الملك أماسيس وبلاد اليونان، وما كان يبدو على أماسيس بأنه يمزج بين الشخصية المصرية اليونانية، وكيف كان محبًا لليونانيين (φὶἐλλην) [٣]، وهو ما جعل هيرودوت يشبه أماسيس بالحكيم اليوناني.

وعن العلاقة التي تربط بين الملك أماسيس واليونانيين يشير هيرودوت إلى ذلك بقوله: "وكان أماسيس محبًا لليونانيين، وعبر لهم عن عاطفته تلك بأنه وهب

(١) Samuel Ortencio, Ibid., p. 229.
(٢) Mark. C. Mash, Ibid., p. 161; Herodotus, II, 177.
(٣) Herodotus, II, 178.

للذين جاءوا منهم إلى مصر مدينة نقراطيس[١] ليسكنوا فيها. أما الذين لم يرغبوا في استيطانها، وكانوا يفدون للسياحة وحسب، فقد أعطاهم أراضي ليقيموا عليها هياكل ومعابد لآلهتهم"[٢].

وهناك دليل آخر يؤكد على صداقة أماسيس لليونانيين؛ حيث ذكر هيرودوت ذلك في قوله:

"ولقد أرسل أماسيس الهدايا أيضًا إلى بلاد اليونان: فإلى قورينه أرسل تمثالاً لآثينا مغطى بالذهب مع صورة له مرسومة وإلى ليندوس، تمثالين لآثينا من الحجر، ووهب لهيرا في ساموس تمثالين من الخشب... وبعث الهدايا لتوثيق صلات الود والكرم بينه وبين بوليكراتيس...." [٣].

وكان نتيجة ذلك أحب اليونانيون الملك أماسيس وأشادوا به على أنه كان ملكًا من أعظم ملوك مصر، وزادت أعدادهم في مصر، وأقاموا العديد من المستعمرات لهم وهو ما أثار غضب المصريين، لكن أماسيس بحسن سياسته استطاع التوفيق بين (المصريين واليونانيين)، وفصل بينهم؛ حيث قام بحصر (بتحديد) إقامة اليونانيين في مدينة واحدة وهي مدينة نقراطيس، وبذلك منع حدوث أي احتكاك (صدام) بين كلا الفريقين[٤]، كما أصبحت مدينة نقراطيس كذلك هي الميناء الوحيد التجاري الذي يتم من خلاله حركة التجارة من وإلى مصر[٥].

ولم تتوقف العلاقات التي ربطت بين أماسيس واليونانيين عند هذا الحد بل وصلت إلى درجة الزواج السياسي لحماية مصالح مصر، حيث تزوج أماسيس من

---

(١) Herodotus, II, 178, 179؛ كانت مدينة نقراطيس هي المدينة اليونانية التي سمح الملك أماسيس لليونانيين بالإقامة فيها حيث تقع في الدلتا على الفرع الكانوبي. راجع:
Brain Muhs, The Ancient Egyptian Economy (3000- 30 BC), Cambridge. Univ. Press, 201, 6, pp. 186, 20, 287.

(٢) Herodotus, II, 178, 179.

(٣) Trigger. B., Kemp, Ibid., pp. 330- 342; Herodotus, II, 182.

(٤) سليم حسن، مصر القديمة، ص هـ، ٢٩٧؛
Herodotus, II. 179.

(٥)عادل السيد عبد العزيز، أحمس الثاني؛ وعن مدينة نقراطيس راجع أيضًا:
Coulson, W., Ancient Naukratis, vol. III, The Survey at Naukratis and Envirsous, part I: The Survey at Naukratis, Oxford, 1996.

لاوديكي (Ladike) القورينية، وكان غرض أماسيس من هذا الزواج أن يحمى ظهره من أي هجوم على مصر من ناحية الحدود الغربية، وذلك لعلمه بمدى قوة اليونان(١).

مما سبق يمكن أن نستنتج أن كل ما ذكره هيرودوت، يمكن أن نصفه بأنه كان مجرد سردًا لأحداث أو قصص سمع عنها، دون أن يقف عندها بالتدقيق والتحليل لمدى صدقها أو دقتها؛ وهو ما أثر بدوره على مصداقية هيرودوت نفسه، فقد أصبحت هنا مصداقيته على المحك وذلك للأسباب الآتية:

- أول الأسباب في رأيي: هو أن النظم السياسية تطورت في أثينا إلى أن وصلت إلى النظام الديموقراطي وكان سولون أحد رواد التشريعات التي أسست لذلك النظام الديموقراطي، والقسوة التى يتسم بها القانون موضع البحث لا تليق بأي حال بالديموقراطية لاسيما فيما يتعلق بعقوبة الإعدام المقررة في القانون على من يخطئ عمدًا أو سهوًا في بيانات إقرار ذمته المالية.
- ثانيًا: مثل هذه القوانين تليق بالمجتمعات الملكية أو المونارخية التي يؤسس فيها الملك أو الحاكم الفرد لمبدأ مركزية الحكم وسعى الملك أو الحاكم الفرد دومًا إلى إحصاء كل ما في الدولة من أفراد وممتلكات وأراضٍ وغيرها، كما أن المركزية في الحكم تتفق مع قسوة العقوبة التي يقررها القانون ترهيبًا للمواطنين وإحصاءً لكل كبيرة وصغيرة تعود في نهاية الأمر إلى الملك.
- ثالثًا: بالبحث في تشريعات سولون لم نجد مثل هذا القانون، ولم نقرأ في المصادر القديمة ما يؤكد رواية هيرودوت من أن سولون أخذ هذا القانون من مصر في زمن أماسيس أو حتى اقترحه مجرد اقتراح بين تشريعاته.

(١) Rawlinson. G., Herodotus, The histories; Herodotus, II, 181, Trans. By. George Rawlinson, British Library, 1997, p. 220; Mark. C. Mash; Stereotype as Faulty Resemblance Humorous deception and ethnography in Herodotus, p. 161.

الخاتمة:

كانت مصر في عصورها الأولى مغلقة في وجه الأجانب الذين إن أتوا إليها فهم كانوا يأتون فقط لمشاهدة معالم حضارتها، وتمدينها، وتقدم عمرانها، ويرجع الفضل للملك أبسماتيك الأول أول ملوك الأسرة السادسة والعشرين في أنه كان أول مَنْ سهل للأجنبي دخول مصر، والذي حاول استعادة أمجاد ملوك مصر السابقين في الشرق الأدنى، وذلك من خلال رؤيته بضرورة تكوين جيش قوي يستطيع من خلاله تحقيق انتصارات يعيد بها مجد الإمبراطورية المصرية في الشرق الأدنى القديم، وكان ذلك من خلال الاعتماد على الجنود المرتزقة التي يستعين بها من دول البحر المتوسط، وكانت معظم هذه الأعداد من اليونانيين، وسُمح لهؤلاء الجنود بالقاء في مصر، كما تم تشجيعهم على السفر إلى مصر، وهو ما فتح الباب لدخول أعداد كبيرة منهم إلى مصر.

كان مصدر كتابة تاريخ مصر في هذه الفترة هو هؤلاء التراجمة الذين كانوا يقومون بسرد روايات تبتعد في كثير من الأحيان عن الحقيقة التاريخية بل كانوا يقومون بسرد القصص والروايات للزوار الذين كانوا يتكبدون مشاق رحلة طويلة لزيارة مصر؛ فكان هؤلاء التراجمة يسردون لهم القصص التي يحب السائح سماعها، والتي لا يخلو جانب كبير فيها من التشويق.

وكان أول المؤرخين الذين كتبوا عن تاريخ مصر هو هيكاتيوس من مدينة ميليتوس ثم تبعه هيرودوت الذي حاول تقديم صورة واضحة لمصر في العصر الأخير من تاريخها.

وقد قام هيرودوت بالكتابة عن تاريخ مصر من خلال عمله التواريخ، والذي يطلعنا فيه هيرودوت على قانون أقرب ما يكون إلى ما نعرفه الآن بإقرار الذمة المالية . ذلك القانون الذي تم إقراره في عهد الملك أحمس الثاني أحد ملوك الأسرة السادسة والعشرين، والذي أطلق عليه هيرودوت اسم أماسيس، ويبدو أن هيرودوت كان من المتأثرين بشخصية الملك أماسيس؛ فقد تناول في حديثه أحوال مصر تحت حكم الملك أماسيس والذي أشار فيه إلى أن مصر كانت على درجة كبيرة من

الازدهار، وذلك نتيجة لما جاد به النيل على الأرض من طمى، وما جادت به الأرض على الناس من خير، وهذا يرجع إلى نظام الإدارة الدقيق الذي كان يتسم به عهد الملك أماسيس.

وينتقل هيرودوت في نقطة أخرى للحديث عن نص هذا القانون الذي أقره الملك أماسيس، والذي كان ينص على إعلان كل مواطن مصري عن وسائل عيشه لحاكم منطقته سنويًا، وأن الامتناع عن القيام بذلك أو إثبات أن الشخص لديه مصدر رزق مشروع فإنه يُعاقب عليه بالإعدام، وقد استطرد هيرودوت في حديثه بأن هذا القانون نال إعجاب المشرع الآثيني سولون، ورأى أنه قانون مثالي؛ لذا أخذه وشرعه للأثينيين.

وقد قام هيردوت عند حديثه عن ذلك القانون باستخدام بعض المصطلحات والتي حاول من خلالها أن يكون دقيقًا في تعبيره أو تصويره إلى أي مدى التزم المصريون بتنفيذه، ولم يكتف هيرودوت بمدح ذلك القانون بل أشار كذلك إلى تأثر المشرع الآثيني سولون وإعجابه بهذا القانون لدرجة أنه قام باقتباسه وتطبيقه على الأثينيين؛ وذلك لأنه كان من وجهة نظره قانونًا محكمًا، وهو ما كان يستدعى التوقف عنده بالإيضاح نظرًا لأن سولون، والذي عرف بأنه من أشهر المشرعين في عصره وكان يتخذ في تشريعاته أول طريق للديمقراطية التي كان يسعى لتحقيقها بين المواطنين، في حين أن القانون الذي وضعه أماسيس كان يبتعد عن ذلك المفهوم.

ويمكن أن نستنتج من ذلك إمكانية وجود صلة تربط بين الملك أماسيس وسولون وذلك لأن أماسيس كان على الرغم من أنه ملك مصري إلا أنه كان يظهر بشكل يوناني كرجل حكيم، لكن الحقيقة التاريخية لم تثبت أن قانونًا مثل ذلك كان معمولاً به في أثينا، ولم يرد مثل هذا القانون في تشريعات سولون، بل ربما كان ذلك مجرد تلفيق من هيرودوت استند فيه إلى تلك العلاقة الوطيدة التي كانت تربط بين أماسيس وسولون. وهذا ما يستلزم مناقشة مصداقية هيرودوت، والذي يبدو أنه عند إشارته لاقتباس سولون لمثل هذا التشريع من مصر تلك الفروق الواضحة بين نظام الحكم الذي كان سائدًا في مصر من نظام ملكي وحكومة مركزية، وذلك الذي كان في آثينا وقت سولون حيث النظام الديمقراطي.

وهو ما نخلص منه أن كل ما ذكره هيرودوت يمكن أن نصفه بأنه كان مجرد سردًا لأحداث أو قصص سمع عنها دون أن يقف عندها بالتدقيق والتحليل لمدى صدقها أو دقتها، وهو ما أثر بدوره على مصداقية هيرودوت نفسه.

قائمة بالمراجع:

أولاً: مراجع باللغة العربية:

- عبد المنعم أبو بكر، لمحات عن التاريخ المصري القديم، وكالة الصحافة العربية، ٢٠٢٢.
- سليم حسن، مصر القديمة، عصر النهضة المصرية ولمحة عن تاريخ الإغريق، ج ١٢، القاهرة، ٢٠٠٠.
- محمد صقر خفاجة، هيرودوت يتحدث عن مصر، ترجمة أحمد بدوى، ط ٢، المركز القومى للترجمة، القاهرة، ٢٠١٨.
- غادة حسن، الملك أحمس الثاني، أماسيس، ٥٧٠– ٥٢٥ ق.م، مجلة المقتطف المصري التاريخية، الإصدار الأول، ص٢، ع١.
- محمد عرموس، موجز تاريخ مصر، A.G للطباعة، ٢٠٢١.
- إسكندر عارف، تاريخ مصر من فجر التاريخ حتى إنشاء مدينة الإسكندرية، مطبعة أطلس، ٢٠٢١.
- عادل السيد عبد العزيز، أحمس الثاني، دراسة تاريخية أثرية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٤.

ثانيًا: مراجع بلغة أجنبية:

- Aene, Kuhurt. The Ancient Near East. C., 3000- 330 BC, VII, London, 1995.
- Alexander. Schütze. "Cmbyses the Egyptian? Remembering Cambysis and Amasis in Persian Period Egypt". In the Aerodotean sounding the Cambysis Logos. Edited by Andreas Schurab Narrfrancke Press, 2023.
- Brian. Muhs. The Ancient Egyptian Economy (3000- 30 BC). Cambridge University Press, 2016.
- Coulson, W. Ancient Naukratis, vol. III. The Survey at Naukratis and Envirous, part II: The Survey at Naukratis, Oxford. 1996.

- Heidel. William Arthur. Hecataeus & the Egyptian Priestes in Herodot. Book II, Routledge, New York. 2018.
- Lloyd, A. B. Herodotus, Book II, Leiden, 1988.
- Mark. C. Mach. "Resemblance and Reality in Greek Thought in Stereotype as Faculty resemblance Humorous Deception and ethnography in Herodotus, edited by. Arum. Park- Routledge: London. 2017.
- Petrief. A history of Egypt, vol. III: from The XIXth to the XXXth, Dynasties, London, 1925.
- Ray, John. Amasis The Pharaoh as with no illusions, History Today, 1996.
- Rowlinson, Herodotus: The Histories, British Library, 1997.
- Samuel. Ortenico. Flores: The Roles of Solon in Plato's Dialogues. The Ohios state University. 2013.
- Sayce. A. H. The Ancient Empires of the East, Herodotus. I- II, London, 1883.
- Trigger. B. G. and Kemp. B. J.: Ancient Egypt, A social History, Cambridge University Press, 1983.
- Verginia. J. Hunter. Past and Process in Herodotus and Thucydides, Princeton University. 2017.
- Waddell. W. G. Manethe, London, 1940.